الأستاذ الدكتور / فؤاد أبو حطب
عالم نفس متميزاً محلياً ودولياً ،
ومفكراً تربوياً واجتماعياً موسوعياً ،
وإنساناً معطاءً ذا قيم وخلق ، ومصلحاً تربوياً عملاقاً

أ. د. أحمد اسماعيل حجى*

ترددت كثيراً قبل أن أمسك بالقلم لأخط هذه الكلمات عن صاحب هذه السيرة العطرة ، أستاذنا العظيم المرحوم الأستاذ الدكتور / فؤاد عبد اللطيف أبوحطب.

ومرجع هذا التردد إن هو إلا خوف من عدم القدرة على أن أوفيه بعض حقه، بعد أن ملأ حياتنا علماً عظيماً ، وخلقاً ، وقيماً ، وإنسانية ميزته وتفرد بها ، قلما تجتمع فى إنسان واحد .

الأستاذ الدكتور /فؤاد أبو حطب عالم نفس متفرد فى تخصصه أضفى على هذا التخصص طابعاً متميزاً بكتاباته المتنوعة التى غطت فروع على النفس المختلفة بكفاءة واقتدار ، بدأت برسالته للماجستير فى جامعة لندن عن قياس القدرة على التفكير الناقد وتحديدها ، ثم رسالته للدكتوراه فى نفس الجامعة ، وهى دراسة عاملية وتجريبية للتفكير الحدسى .

ثم تستمر دراساته العديدة عن التحليل العاملى لعوامل التنظيم العقلى الثلاثى ، ودورها فى اختبار الفروض وتطبيقاتها فى التربية .

ويؤصل ذلك بتقنين إختبارات عديدة فى مجالات القدرات العقلية وعلم النفس التعليمى .

ويصدر كتباً عديدة فى التعلم والقدرات العقلية منها : كتابة القيم عن القدرات العقلية ، الذى حصلت طبعته الأولى المنشورة عام ١٩٧٣ على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٧٤ ، والذى أعيد طبعه أكثر من ست طبعات ، ومنها كتاب التفكير: دراسات نفسية (مع زميل له) ، وكتاب التقويم النفسى ، وكتاب علم النفس التربوى ، وكتاب مدخل إلى علم النفس التعليمى ، وغيرها .

(*) الأستاذ الدكتور أحمد اسماعيل حجى أستاذ التربية المقارنة والإدارة التعليمية والعميد السابق لكلية التربية جامعة حلوان .

ويقتحم الدكتور فؤاد أبو حطب مجال علم النفس النمو بكتاب مرجعى (بالاشتراك مع زوجته الكريمة) ، عنوانه : نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين .

وقد يكون هذا الكتاب هو الكتاب الأول على مستوى الوطن العربى ، الذى يتناول المسنين بدراسة متعمقة وبحث وتمحيص بميزاته ، ويضيف عليه زيادة واضحة .

ثم يؤكد هذه الريادة بدراسته عن المعالم السيكولوجية للرشد والشيخوخة ، ثم دراسته عن إبداع المسنين فى أبريل عام ٢٠٠٠ ، وهو شهر انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

ويؤصل الأستاذ الدكتور / فؤاد أبو حطب بقدرة لعلم النفس الإسلامى ، بدراسات بينية متعمقة تنم عن علم وتمكن من أساسيات الإسلام وأصوله ، ويصدر دراسة عن علم نفس النمو من منظور إسلامى ، وأخرى عن التوجيه الإسلامى لعلم النفس ، ودراسة نفسية فى ضوء القرآن الكريم ، وعلم النفس والإسلام ، وهى كلها وغيرها دراسات أصلت لعلم النفس إسلامياً .

ويبرز إهتمام أستاذنا الكبير الوطنى والقومى وغيرته على وطنه العربى ومصريته فى دراسات رائدة منها : علم النفس فى العالم العربى ، ثم دراسة حالة عن الدول النامية ، ودراسة ثالثة باللغة الإنجليزية عن أصول على النفس فى مصر وتطوره ، عرضت فى مؤتمر الكونجرس الدولى لعلم النفس فى مونتريال بكندا عام ١٩٩٦ .

وتبرز إهتمامات الدكتور / فؤاد أبو حطب بدراسات بينية متميزة عن علم النفس والفنون ، فيصدر دراسة عن التفضيل الفنى وسمات الشخصية فى وقت مبكر عام ١٩٧٣ ، ثم دراسة عن موسيقى الطفل فى وسائل الإعلام المصرية ، ودراسة ثالثة عن موسيقى الشباب بين الثقافة والإعلام والتربية .

وتتسع إهتماماته السيكولوجية والاجتماعية ، فيكتب عن سيكولوجية الإدارة التعليمية ، والضبط النفسى للتغير الاجتماعى السريع ، وهى دراسة متميزة قدمت فى مؤتمر المجلس الدولى لعلم النفس فى كندا عام ١٩٩٦ .

وإذا كان الأستاذ الدكتور / فؤاد أبو حطب عالم نفس مصرياً وعربياً بل وعالمياً متميزاً فإنه فوق ذلك أستاذ متميز فى التربية ، من منظور واسع ، وصاحب رؤى علمية ، تشهد على ذلك كتابات متنوعة خطها بعقل متفتح ومن منظور العالم الباحث المدقق ، ذى الفكر الراجح والأفق الرحب ، ومن هذه الكتابات ، على سبيل المثال لا الحصر :-

دراسة بعنوان : «دور التربية فى تنمية التفكير الابتكارى عام ١٩٧٣ ، وأخرى عن تقويم المعلم فى أثناء الخدمة عام ١٩٧٤» ، ودراسة متميزة ورائدة قام فيها بدور الباحث الرئيسى ، عنوانها : «دراسة مسحية للبحوث التربوية والنفسية فى مصر منذ الثلاثينات صدرت عن أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا فى مصر» .

ويكتب دراسة أخرى عنوانها : «نحو استراتيجية قومية للبحث التربوى فى الوطن العربى عام ١٩٩٨» ، ودراسة عن «اتجاهات فى تقويم الآداء الجامعى» عام ١٩٩٨ . أيضاً .

وتتسع اهتماماته التربوية العريضة فى دراسته عن الارتقاء بمستوى خريج التعليم الجامعى والعالى فى إطار مفهوم الجودة الشاملة لمواجهة تحديات المستقبل عام ١٩٩٩ ،ودراسة بعنوان : «اتجاهات ونماذج حديثة فى الإعداد التربوى لعضو هيئة التدريس» عام ٢٠٠٠ .

ويقتحم فقيدنا الكبير مجالاً متخصصاً فى التربية ، بإقتدار ، هو ميدان تعليم الكبار ، ويكتب عن تطوير البحث التربوى فى مجال تعليم الكبار ومحو الأمية عام ٢٠٠٠ .

وتستمر اهتماماته التربوية الواسعة ، فيكتب فى التربية المقارنة عدة دراسات ، منها دراسة بعنوان : «اتجاهات فى تقويم الأداء الجامعى» عام ١٩٩٨ . ودراسة أخرى عن «اتجاهات ونماذج حديثة فى الإعداد التربوى لعضو هيئة التدريس ؛ تجارب عربية وعالمية» ، عام ٢٠٠٠ وهاتان الدراستان وغيرهما من دراسات متعمقة فى مجالات مختلفة كانت من بين اهتماماته ، وكان له فيها إسهامات واضحة ، إلى درجة جعلتنا فى الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية نحرص على دعوته لقيادة ندوة من ندوات المؤتمرات السنوية للجمعية وكنا لا نشعر بقيمة للمؤتمر إلا بحضوره وعطائه ، وكان رحمه الله حريصاً على ذلك أيضاً .

ويشاء القدر أن تكون آخر ورقة كتبها ، وكان مقررا تقديمها يوم وفاته عن التعليم العالى والجامعى من منظور تجديدى وتحديثى عالمى ، وكان عنوانها : «صيغ ونماذج جديدة للتعليم الجامعى والعالى» ، بتكليف من شعبة التعلم الجامعى بالمجلس القومى للتعليم والبحث العلمى والتكنولوجيا ، الذى كان عضواً فيه .

وتتأكد الريادة التربوية والموسوعية لراحلنا الكريم فى إهتمامه بالتعليم وإعداد المعلم فى كليات التربية ، فيشارك بإيجابية مؤلفاً وباحثاً فى دراسة : «التعليم فى مصر ، دعوة إلى حوار» عام ١٩٧٩ ، ثم دراسة «مستوى معلم المرحلة الأولى فى مصر عام ١٩٨٢ ، ودراسة بعنوان «الارتقاء بمستوى خريج التعليم الجامعى والعالى» عام ١٩٩٩ ، و «رؤى واتجاهات فى التنمية المهنية لأستاذ الجامعة عام ١٩٩٩» ،

«وآفاق جديدة حول تطوير كليات التربية» عام ٢٠٠٠ ، ثم «تطوير كليات التربية ؛ نظرة إلى المستقبل فى تفاؤل» عام ٢٠٠٠ أيضاً .

ويدخل الراحل العظيم بتمكن ميدان فلسفة العلوم بدراسته الهامة : نحو فلسفة جديدة لعلم النفس عام ١٩٩٩ ، متمما دراسة جادة نشرها عام ١٩٩٧ ، بعنوان « نحو منظور جديد لفلسفة العلم مع إشارة خاصة إلى علم النفس» .

ولا يغيب عنه رحمه الله – البعد السياسى والدولى للتربية وعلم النفس ، فيهتم بالعولمة وتجلياتها ، ودورنا فى مواجهتها ويكتب عن : «تعليم العولمة وعولمة التعليم» ، ودراسة أخرى عن «فقه العولمة» وثالثة عن : «العولمة ومستقبل العلوم الاجتماعية والإنسانية» ، وكلها فى عام ١٩٩٩ ، بما يؤكد عصرنه للفكر ، وتوجهاً نحو التربية السياسية وعلم النفس السياسى ، بل وعلم النفس الدولى أيضا .

ويهتم عالمنا العظيم بالتجديد والتحديث فى المجال التربوى والسيكولوجى ويتجلى ذلك فى إيلاء اهتمام كبير للحاسب الآلى وإستخداماته فى العلوم الاجتماعية والنفسية ، فيكتب عن : «الحاسب الإلكترونى فى مدارسنا : البعد التربوى» ، عام ١٩٨٤ وهو و قت مبكر للاهتمام بالحاسب الآلى فى التعليم المصرى . ويقود ندوة عن استخدام الحاسب الآلى فى التقويم التربوى ، عقدتها كلية التربية بجامعة حلوان عام ١٩٩٦ ، بما يعكس فكراً ثاقباً ورؤى مستقبلية ، وعقلية فذة .

وهنا أشير إلى عطائه المستمر فى العديد من المجالات ، وأذكر تلبيته الدائمة لدعوتى بالتحدث فى مؤتمرات كلية التربية بجامعة حلوان ، إبان عمادتى للكلية من عام ١٩٩٤ إلى عام ٢٠٠٠ ، وإعداده لدراسات دسمة كانت دوماً محل تقدير الحاضرين جميعا ، بما تتضمنه من علم عميق ، ورؤى علمية متميزة .

ويتجلى عطاؤه وخلقه وقيمة فى كتاباته عن رواد التربية وعلم النفس فى مصر ، بل وتكون هذه الكتابات تأصيلاً تاريخياً لعلم النفس ومسيرته . ويكتب عن:

– فؤاد البهى السيد : عقل مؤمن وإيمان عاقل ، عام ١٩٨٦ .

و عبد العزيز القوصى ، مسيرة الإبداع فى علم النفس والتجديد فى التربية عام ١٩٩٢ .

و حامد عمار ، موسم العودة إلى الجنوب ، عام ١٩٩٦ .

و يوسف مراد : العالم الفيلسوف الفنان عام ١٩٩٦ .

و عطية هنا : التوازن بين العلم النافع والخلق الرفيع ، عام ١٩٩٨ .

و خليفة بركات : فن التناوب بين النظرية والتطبيق عام ١٩٩٩ .

بل ويقترح ترشيح حامد عمار لجائزة الدولة التقديرية ، ويحظى اقتراحه بموافقة الجمعية المصرية لعلم النفس ، ويحصل حامد عمار على الجائزة . وهنا أعتقد أن عدم حصول فقيدنا الكبير على هذه الجائزة رغم ترشيحه لها من أكثر من هيئة خسارة للجائزة لا له .

أقول ذلك انطلاقا مما سطرته فيما سبق ، ومما هو آت وأذكر تأكيداً لما أذهب إليه أنه كان من كبار البنائين المشيدين للصروح العلمية فى مصر والعالم العربى ، يشهد على ذلك دوره وإسهاماته وعطاءاته الكبيرة والكثيرة ويكفى أن أذكر : إنشاءه لمعمل علم النفس بعديد من كليات التربية منها كلية التربية بجامعة أم القرى بالسعودية وكلية التربية بجامعة السلطان قابوس بعمان ، ومعمل علم النفس بالقوات المسلحة فى مصر مابين عامى ١٩٨٤ ،١٩٩٠ . والمشاركة فى إنشاء جامعة السلطان قابوس فى عمان وغير ذلك .

وتتوج أعماله بإنشاء مؤسسة علمية بحثية تنموية كبرى ، رائدة فى المنطقة العربية والشرق الأوسط ، وهى المركز القومى للامتحانات والتقويم التربوى . ويكفينى هنا الإشارة إلى خروجه بالتقويم من الدائرة الضيقة له كدراسة نفسية إلى مستوى أرحب هى التقويم التربوى وليقود من خلاله مشروعاً ضخماً عن التقويم كمدخل لتحسين الجودة التعليمية ، تم فى إطاره القيام بدراسات تقويمية شاملة لأكثر من ثلاثة آلاف مدرسة مصرية وتصدر عنه دراسات هامة لأول مرة فى مصر عن أحوال التعليم يكلف بها أساتذة شرفت أن أكون واحداً منهم – ويتركنا نكتب بأمانة ، ودون إملاء أو توجيه أو رقابة . وقد حصل هذا المشروع على جائزة أفضل مشروع تربوى هى جائزة ألدو فابريس من المؤتمر التربوى لجامعات منطقة البحر المتوسط الذى عقد فى بارى بإيطاليا فى مارس ١٩٩٧ ، والذى شرفت أيضا بحضوره ، ورأيت بعينى أسمى التقدير الدولى للمشروع المذكور وصاحبه ، عالمنا الكبير .

وإذا كانت المؤتمرات المصرية والعربية قد أنيرت بحضوره فيها ، بل وسطعت شمسه عليها ، واستنارات بما قدمه بها من بحوث ودراسات ، فإن مؤتمرات علمية دولية عن التربية وعلم النفس قد أنارها وأدارها ووقف فيها على قدم المساواة مع العلماء الأجانب الكبار ، بل وطالت قامته قامتهم أيضاً بل وارتفعت عنهم فى مؤتمرات الكونجرس الدولى للاتحاد الدولى لعلم النفس ، ومؤتمرات الجمعية البريطانية لعلم النفس ، ومؤتمرات الجمعية الأمريكية لعلم النفس والمؤتمرات الأوربية لعلم النفس وغيرها . ولم لا وهو عضو مجلس تحرير كل من : مجلة علم النفس المدرسى الدولية ، والمجلة الدولية للبحث التربوى ومجلة تاريخ علم النفس . والمجلة الدولية لعلم النفس ، والمجلة الدولية لسيكولوجية الدين وغيرها . منذ الثمانينات والتسعينيات وحتى رحيله إلى جوار ربه .

وكان عالمنا الكبير شخصية منضبطة وملتزمة إلى درجة كبيرة ، وأذكر هنا مثالين :

الأول : إلتزامه ، متى دعى إلى مؤتمر وقبل الدعوة والحضور ، والإعداد الجيد والمكتوب لما سيتحدث فيه ، وكأنه سيلقى بحثاً علمياً فى ندوة ، مما كان يميزه عن كثيرين غيره ، ويضفى على حديثه الصبغة العلمية الموضوعية ، بل وكان فكره ورأيه وتوجهاته وجرأته أموراً تتسم بها كلماته . ولذلك كانت الجهات المنظمة للمؤتمرات العلمية تحرص على دعوته وتلح فى ذلك إلى حد كبير .

الثانى : التزامه التام أيضاً بحضور محاضراته قبل طلابه ، وعطاؤه العلمى داخل القاعات الدراسية وقت مبارحته إياها قبل الوقت المحدد ، رغم أعبائه الأخرى الضخمة ، وحرصه على مناقشة طلابه ، وسعيه إلى دفعهم للتعلم الذاتى ، وحب علم النفس الذى كان يدرسه ، والإحصاء التى حرص على أن يضفى عليها طابعا يجعل طلابه يقبلون عليها ، عرفت ذلك كله من خلال تدريسه بكلية التربية جامعة حلوان منتدباً عدة سنوات ، ومن ابنتى التى درست على يديه فى الدراسات العليا بكلية التربية جامعة عين شمس ، حيث كانت محاضراته لها الساعة الثامنة صباحاً ، وما من مرة تأخر عن موعده أو خرج قبل انتهائه .

وإذا كنت قد تحدثت عن عالمنا الراحل وإسهاماته المتميزة فى مجالات علم النفس والتربية ودراساته المتخصصة والموسوعية ، وجهوده المحلية والدولية وغيرته الوطنية والقومية ، واهتماماته الإسلامية ، ودراساته البيئية المتنوعة .

ذلك يتأكد من الرجوع إلى ندوة عقدها معهد التخطيط القومى حول : «مصر وتحديات المستقبل» عام ١٩٩٧ ، والتى شارك فيها الراحل العملاق ، وما دار فيها من حوار. ويذكر فى هذا الصدد حديثه فى هذه الندوة عن الهوية ، والشخصية المصرية، ودوائر الانتماء التى تتجاذب بها ، والعولمة والكوكبة والثقافة الواحدة والإنسان الواحد، وتأكيده على ضرورة وجود الوعى الكافى للمحافظة على الهوية القومية داخل الدوائر العديدة التى تضمنها ، والتى يجب ألا نتجاهلها أو نستبعد بعضها لحساب البعض الاخر .

بل إنه وباقتدار يعلق فى ذات الندوة على ما جاء على لسان أحد المتحدثين عن الهوية والانتماء ، ويقوم بالتفرقة بينهما ، مبينا أن الهوية بنية Structure والانتماء عملية Process .

ويضيف أن هناك حاجة للتأكيد على ميكانزمات التكافل والتآزر والتكامل ، ويضرب مثالاً يؤكد فيه على الهوية العربية الإسلامية بالحضارة العربية ومحاورتها للحضارات التى عاصرتها من منظور التكافؤ لا من منظور الدونية . ويتحدث عن

دورنا فى النظام العالمى الجديد .

ثم ينتقل إلى موضوع التعليم باعتباره (فى صميم المسألة) وأن (التعليم إذا استمر ينتج خريجين أو مخرجات بالشكل المتدنى الذى عليه الحال الآن فقطعا سنفقد الميزة التنافسية وأن التعليم ينبغى أن يوضع موضع الفحص الدقيق ، وأن هناك حاجة إلى تحولات تجتاح النظام التعليمى كله ، وأن الاتجاه الآن عالميا نحو التعلم للإتقان) .

إن هذا كله مجرد مثال واحد من آلاف الأمثلة التى تؤكد ريادة أستاذنا الدكتور/ فؤاد أبو حطب .

لقد نال الراحل الكريم ثقة متخذى القرار فى مصر ، فكان مستشاراً لوزراء التعليم والتعليم العالى والشباب ، وكان صاحب رأى ورجل مواقف ، يقول رأيه بشجاعة وجرأة ، فقدره معظمهم وقربوه إليهم ، وكانوا يرجعون إليه لاستشارته والاستنارة برأيه ، واصطحابه لتمثيل مصر فى الخارج ، ورئاسة وفود مصر إلى العديد من المؤتمرات الدولية .

وتجلت هذه الثقة الكبيرة ، عندما كلفه رئيس مجلس الوزراء فى مصر برئاسة لجنة الخبراء التى شكلها المجلس عام ١٩٩٧ لدراسة أحوال التعليم فى مصر ووضع مشروع لتطويره ، قدمته اللجنة فى ديسمبر ١٩٩٧ بعنوان : «التعليم فى مصر فى القرن الحادى والعشرين عبور إلى المستقبل» .

ولابد لى من التوقف عن هذه اللجنة الهامة وعملها المخلص لأقول إن اللجنة ضمت إثنى عشر خبيراً من أساتذة التربية فى مصر ، وكان لى شرف هذه العضوية. وقد عقدت اللجنة بعض اجتماعاتها فى مقر مجلس الوزراء ، كما عقدت العديد من الاجتماعات فى منزل الراحل الكبير . وكان عمل اللجنة تطوعياً دون أى مقابل ، إلا وجه الله والوطن . كما أنه لابد لى أن أضيف أن الأستاذ الدكتور / فؤاد أبو حطب كان قائداً ناجحاً ، ومحاوراً ديمقراطياً إلى أبعد الحدود ، لم يفرض رأياً ، وكان يتقبل الرأى الآخر ويستمع إليه ، ويأخذ برأى الأغلبية ، لم يستبد برأى ولم يفرض توجهاً معيناً . كما كانت آراؤه تنم عن أفق واسع وعلمية راسخة وعقلية راجحة ، ومنظورات عميقة وعريضة تجعله قديراً بأن يقود التعليم فى مصر . ولعل هذا كله وراء صدور هذه الوثيقة السالف ذكرها ، والتى لو كانت قد رأت النور ولم يتم التعتيم عليها لكان قد كتب للتعليم فى مصر تقدماً عظيماً . بل ولعل العمل فى هذه اللجنة وراء انتهاز الفرصة لعدم التجديد له مديرا للمركز القومى للامتحانات والتقويم التربوى .

كم كنت سعيدا بالاقتراب من هذا العالم المعطاء صاحب الإنتاج العلمى الغزير

والتواجد والحضور الدائم والدائب محلياً وقومياً ودولياً ، ولمست عن قرب إنسانيته وخلقه الرفيع وحرصه على من يعرف ومن يحب وإسداء النصح لهم والخوف عليهم وتوجيههم ، كنت سعيدا بالاقتراب منه فى كلية التربية جامعة حلوان ، وفى مؤتمراتها، وفى بيته العامر بزوجته الأستاذة الدكتورة / آمال صادق وولده الدكتور/خالد وابنته الدكتورة / مها ، وفى تشريفه لى بزيارته فى بيتى وبيت ابنتى، وفى الندوات العلمية التى سعدت بحضورها له وغيرها ، ونهلت من علمه الغزير وقدوته وخلقه .

لقد كان رحمة الله حريصا على أسرته ، وكان فخوراً بزوجته وإبنه وابنته فخرا كبيراً ، ويظللهم بظله ويحنو عليهم ، ويهب مدافعا عنهم .

إنه رحمه الله عليه عالم ومفكر وإنسان لن تخسره مصر ولن يخسره العلم والعالم ، فعطاؤه وأثره باق لنا وأمامنا مرشداً وهادياً ، وسيظل إنتاجه العلمى الغزير نوراً يضئ سماء العلم النفسى والتربوى والاجتماعى .،

رحمه الله رحمة واسعة ، وأدخله فسيح جناته وعوضنا عنه خيراً ، ذلك الإنسان العظيم الذى جمعتنى وإياه مجالات عديدة علمية وشخصية ، أحببته من خلالها حباً جماً ، وقدرته علمياً وشخصياً ، وكان حبل الود بيننا موصولاً ، فحزنت أيما حزن لفراقه ، ولا تزال ترن فى أذنى كلمة ابنته الكريمة لى فى الهاتف يوم وفاته : (ألو يا دكتور أحمد دادى مات) لم أنس هذه الكلمات لأننى انخرطت فى بكاء عميق ، ولا أزال حتى اليوم حزينا على فراقه .

رحمه الله رحمة واسعة وألهمنا وآله الكرام الصبر والسلوان .